على سبيل
الافتتاحيـــة

الأرمن والوطن المصرى

على مدار التاريخ ، تعرَّض «الوطن الأرمنى» لسلسلة من الاحتلالات والتقسيمات . ورغم هذا ، يُعد الأرمن أينما كانوا من أكثر الشعوب التى تعى تماماً ماهية «الوطن» ومعناه الحقيقى . ولذا ، نُلاحظ أن الأرمن فى مواطنهم يُحافظون جيداً على تكريس قيم «الوطن» . ففى التاريخ الإسلامى زمن الخلافة الفاطمية فى مصر ، بذل الأرمنى بدر الجمالى جهداً جهيداً لإنقاذ الكيان المصرى . وفى التاريخ الحديث زمن محمد على باشا (١٨٠٥ ـ ١٨٤٨) ، استمات بوغوص بك يوسفيان وزير خارجية مصر (١٨٢٦ ـ ١٨٤٤) فى وضع حجر الأساس لاستقلال مصر عن الجسد العثمانى ، وذلك عندما تحدى دولة السلطنة وأوربا جمعاء فى مؤتمر لندن ١٨٤٠ وظفر بوضع قانونى خاص لمصر أسهم على المدى البعيد فى انسلاخها عن الأستانة . وكان نوبار باشا من القلائل الذين أدركوا أن مشروع حفر قناة السويس الفرنسى سينتهى بالاحتلال البريطانى لمصر فى عام ١٨٨٢ . وخسر ديكران باشا دابرو وزير خارجية مصر (١٨٩٢ ـ ١٨٩٤) موقعه السياسى إثر تحديه للسلطان عبد الحميد الثانى الذى أراد اقتطاع بعض الأراضى المصرية وإلحاقها بفلسطين . بيد أن ديكران رفض وبشدة تنفيذ الفرمان العثمانى . كما تحدى وبشراسة سياسة اللورد كرومر فى مصر ، وتعاطف مع الحركة الوطنية المصرية الوليدة بزعامة مصطفى كامل . ولذا ، استمات كرومر فى إقصاء ديكران باشا عن منصب رئيس الوزراء الذى كان مرشحاً له بقوة ، بل وإبعاده تماماً عن أية مناصب كبرى .

لهذا ، وانطلاقاً من الوعى بقداسة «الوطن» ، شعر الأرمن المصريون بخطورة المخطط الأمريكى الصهيونى التركى لإعادة هيكلة الشرق الأوسط لصالح مشروع جديد تقوده تركيا ، وهو المشروع الذى كشفته وفضحته بامتياز الثورة المصرية فى ٣٠ يونية ٢٠١٣ . واتساقاً مع أحلام الجماهير المصرية ودعماً للقيادة المصرية ، أثبتت بطريركية الأرمن الأثوذكس بالقاهرة موقفها الرسمى إزاء ثورة ٣٠ يونية وخارطة المستقبل التى تمخضت عنها ، وأرسلت الخطاب الداعم إلى كل من : المستشار عدلى منصور رئيس الجمهورية والدكتور حازم الببلاوى رئيس مجلس الوزراء واللواء محمد إبراهيم وزير الداخلية والفريق أول عبد الفتاح السيسى وزير الدفاع . وسوف نكتفى بنشر الخطاب المرسل لفخامة الرئيس ورد وزير الدفاع .



ԱՌԱՋՆՈՐԴԱՐԱՆ ՀԱՅՈՑ
بطريركية الأرمن الأرثوذكس
ARMENIAN ORTHODOX PATRIARCHATE

مسلسل رقم ١٣/ ٢٦٨ / ٠٨

القاهرة فى ٢٨ / أغسطس / ٢٠١٣

فخامة المستشار الفاضل / عدلى محمود منصور

رئيـس جمهوريـة مصر العربيـة

تحيـة طيبـة وبعـد ،

يتشرف المجلس الملى الأعلى لبطريركية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة والإسكندرية والذى يمثله نيافة الأسقف / أشود مناتسكانيان مطران الأرمن الأرثوذكس بجمهورية مصر العربية بتقديم التقدير البالغ إلى الشعب المصرى العظيم الذى اثبت للعالم أنه صانع الإنجازات وبانى الحضارات. وهنا نؤكد ان الطائفة الأرمنية التى تضرب بجذورها فى عمق التاريخ المصرى تعد جزءاً لا يتجزأ من نسيج الشعب المصرى الحر .

تمر البلاد بلحظة تاريخية فارقة تميز الوطنى الحق من الدعى، ومن الواجب علينا الإعلان عن رؤيتنا فى هذا الوقت العصيب .

نحن نؤكد وبكل قناعة وإرادة أن ما حدث فى الثلاثين من يونيو هو ثورة شعبية بالمعنى الدستورى و القانونى لمفهوم الثورة التى تندلع من أجل تغيير جميع النظم السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية للبلاد ، فهى ليست ثورة لمجرد تغيير الأشخاص واغتصاب السلطات وانما هى ثورة تدفـع ببلادنـا نحو الافضل فى كل شئ .

وفى هذه اللحظات التاريخية الفارقة التى تمر بها البلاد والتى تستوجب ضرورة العبور لمرحلة الديمقراطية بحكمة وسرعة وسلامة نتقدم بالمؤازرة الشديدة لخارطة الطريق التى تمخضت عن الثورة الشعبية وتوافقت عليها جميع أطياف الأمة المصرية تحت لواء الأزهر الشريف والكنيسة الأرثوذكسية بعد دراسة موضوعية لمطالب الثورة .

نتقدم بالإعزاز والتوقير الى المؤسسة القضائية المصرية التى تؤكد دوماً على كونها العمود الفقرى للشعب المصرى، ونؤيد الإسراع فى استكمال بناء المؤسسات التشريعية واحترام القوانين التى تضمن مشاركة جميع فئـات الشعب

١٧٩ شارع رمسيس - ص.ب ٤٨ الفجالة – القاهرة
179 Ramses Ave. P.O. Box 48 Faggala, Cairo-Egypt
Tel.: + (202) 25901385, 25904219, 25902083, Fax: + (202) 25906671, E-mail: armpatrcai@yahoo.com



وتياراته فى العملية السياسية وندعم تأسيس دستور توافقى يعكس وجود دولة مدنية ديمقراطية تحمى حقوق المواطنين دون اى تمييز .

ونثمن الجهود المضنية المبذولة من المؤسسة العسكرية والشرطية المصرية ضد الإرهاب والتى تثبت فى كل لحظة عمق وطنيتها فى تكريس دورها الأسمى فى حماية المواطن من اعداء الوطن وبث الأمان فى نفوس المصريين .

وأخيراً نرفض وبشدة سياسة الكيل بمكيالين التى تنتهجها بعض الدول الأجنبية التى تتشدق بالديمقراطية وحقوق الإنسان وتنكر على مصر الدولة ذات السيادة أن تحفظ أمنها واستقرارها وحقوق مواطنيها بمقتضى المواثيق الدولية والتشريعات الوطنية .وفى هذا المقام نود ان نشدد على رفضنا التام لاى تدخل أجنبى بجميع صوره سافراً كان ام مستتراً فى الشأن المصرى الداخلى وكافة أمور الوطن .

كما يتقدم المجلس الملى الأعلى لبطريركية الأرمن الأرثوذكس بالقاهرة و الإسكندرية والطائفة الأرمنية بأكملها بالعزاء فى شهداء مصر الأبرار داعين الله العلى القدير ان يسكنهم فسيح جناته ، ويصلون ليعم السلام والطمأنينة كافة أرجاء الوطن وأن يوفقكم الله فى القضاء على الإرهاب فى كافة أنحاء الجمهورية .

وحفظ الله مصر وشعبها ،،،

الأسقف / أشــود مناتسكـانيـان

مطــران الأرمــن الأرثوذكـس

بجمهوريـة مصر العربيـة



جمهورية مصر العربية
وزارة الدفاع
النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء
والقائد العام للقوات المسلحة
وزير الدفاع والإنتاج الحربى

القيد : ٦ / ١ / ١٣ / ٣٨
التاريخ : ١٥ / ٩ / ٢٠١٣

نيافة الأسقف / أشود مناتسكانيان

مطران الأرمن الأرثوذكس بجمهورية مصر العربية

تحيه طيبه .. وبعد ،،

يسعدنى أن أتوجه إليكم بالشكر على ثقتكم الكبيرة بجيشكم العظيم الذى هو سند الشعب المصرى العظيم فى كل المحن والظروف على مر العصور .

إن وقوف القوات المسلحة والشعب معاً يداً واحدةً فى مواجهة الشدائد والصعاب هى سمة وعقيدة راسخة لدى المواطن المصرى .

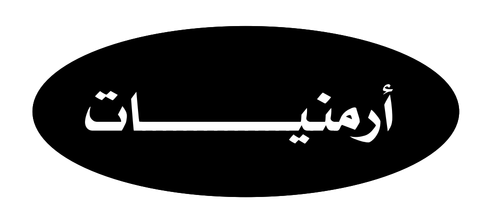
إن القوات المسلحة كالعهد بها دائماً وقفت بجوار شعب مصر العظيم حينما أراد تغيير الواقع والقضاء على الفساد والإرهاب ، والتطلع لحياة كريمة ، وذلك أثناء قيامه بثورة الثلاثين من يونيو عام ٢٠١٣ م ، ولم تدخر الجهد أو تتردد لحظة واحدة فى مساندة شعبها .

لقد أظهر شعب مصر العظيم بجميع أطيافه مسلمين ومسيحيين المعدن الأصيل لكل شعوب العالم ليعلموهم كيف تكون الوطنية والمواطنة والحرية والديمقراطية .

نتقدم بالشكر الجزيل للشعب المصرى العظيم بجميع أطيافه على هذه الروح الطيبة ، روح الألفة والمحبة ، كما نتقدم بخالص الشكر للمجلس الملى الأعلى لبطريركية الأرمن الأرثوذكس والجالية الأرمنية بأكملها الذين يؤكدون على كل معانى التسامح والوفاء .

عاشت مصر حرة مستقلة وحفظها الله بثبات رجالها على قلب رجل واحد

فريق أول / عبدالفتاح السيسى
النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء
والقائد العام للقوات المسلحة
وزير الدفاع والإنتاج الحربى



آلام وآمال فى ذكرى اقتراب مئوية الإبادة

إعداد : عطا درغام

يوم الرابع والعشرين من أبريل ١٩١٥ سيظل محفوراً فى الذاكرة الأرمنية ، ذلك اليوم الذى بدأ فيه حفنة من العثمانيين تسلّقوا خفية على جدار التاريخ ، مستغلين انشغال العالم بالحرب العالمية الأولى ، وارتكبوا أكبر إبادة بشرية فى مستهل القرن العشرين ، حيث راح ضحيتها أكثر من مليون ونصف مليون أرمنى . يوم الرابع والعشرين من أبريل يُعد ذكرى تهجير شعب من قراه ومدنه ، وذبحه وقتله وإبادته فى الصحارى والجبال والكهوف والوديان ، ذكرى محو تراث ، تميّز عبر تاريخه الطويل ، بإنجازاته الرائعة . وبالرغم من التخاذل والصمت الدوليين ، فإن الأرمن يُحييون هذه الذكرى كل عام مطالبين أن تعترف تركيا بالإبادة فى حق هذا الشعب الذى سُلبت ممتلكاته ومقدساته وأراضيه ، وكذلك مطالبة المجتمع الدولى الاعتراف بهذه الإبادة .

وفى عام ٢٠١٥ المقبل سيمر قرن كامل على مذابح الأرمن التى ارتكبتها القوات التركية أثناء الحرب العالمية الأولى ، ولاتزال أرض أرمينية المحتلة والمهجورة وإرثها الثقافى تسكن ضمير كل أرمنى ، ولاتزال أرواح الشهداء تفتقد الراحة الأبدية . فتلك الأرواح المعذبة لن ترتاح إلا إذا ما أخذت العدالة مجراها .

متى ستعترف تركيا بالإبادة الأرمنية؟

ولكن ، هل بالفعل ستعترف تركيا بهذه الإبادة ويستعيد هذا الشعب كافة حقوقه التاريخية؟ ولكن إذا اعترفت ، فمتى ؟

يتساءل **آرا سوفاليان** ـ كاتب وباحث فى الشأن الأرمنى بسورية ويعمل حالياً المدير المالى فى سكاى لاند دبى ـ الإمارات العربية المتحدة :

متى ستعترف ؟عند توازن طرفىّ المعادلة العسكرية المالية والاقتصادية والإستراتيجية لأرمينية والدول الداعمة لها ولتركيا والدول الداعمة لها . وفى غير ذلك لا تُوجد سوى خطوط سراب !

تقول الدكتورة **نورا أريسيان** ـ دكتوراة فى التاريخ الحديث وعضو اتحاد الكتاب العرب دمشق ـ سورية :

نعم أتوقع أن تعترف تركيا ، لكن ليس على المدى القصير . لأنها ستضمن بذلك دخولها الاتحاد الأوربى وتصحيح أخطاء الماضى . وكذلك عندما يضغط عليها المجتمع الدولى ، ويكون القانون الدولى أقوى من المصالح السياسية .

ويتفاءل **أنترانيج جيراجوس إجيدباشيان** عضو نادى الشبيبة الأرمنى بالبصرة ـ العراق :

باحث ولغوى

نعم عاجلاً أم آجلاً .

ويتوقع **ميساك سيمونيان** ـ متدرِّب بالبنك الأهلى الأردنى : أن تعترف تركيا ، لكن ليس بسهولة لأن تركيا دولة قوية ذات سلطة قوية ونفوذ عالى ، لكن مع الضغط القوى سوف تعترف وسوف تُطالب بشروط .

وترى **ليزا إيريك (سيلفا خاتشيك)** ـ الإسكندرية ـ مصر : إن اعتراف تركيا بالإبادة له نتائج سياسية أخرى مثل عودة الأراضى والممتلكات الأرمنية ، و هذه خسارة فادحة لن تتحملها تركيا .

ويُؤكد **خاتشيك مظلوميان** ـ كان يعمل جواهرجياً بمصر ويُقيم حالياً بهولندا :

نعم بالتأكيد ستعترف . لأنكَ لا تستطيع أن تعيش فى مجتمع كإنسان إلا بمواجهة الحقيقة . وفى اعتقادى الشخصى سيكون الاعتراف خلال خمسة عشر عاماً من الآن . وعليها تقديم الاعتذار ، بل لابد من تصحيح قوانينها ضد الأقليات مثل الأكراد وغيرهم .

ويُجيب **سيبوه سركيسيان** رئيس جمعية الشبيبة الأرمنية بالبصرة ـ العراق :

لا أتوقع ولو بقيد أنملة أن تعترف تركيا بالإبادة ، بل يستحيل أن يعترف القاتل بجريمته ولا السارق بسرقته ؛ لأن تركيا تُدرك تماماً أن الاعتراف بالإبادة سوف يترتب عليه استرجاع الأراضى الأرمنية المغتصبة ، واسترجاع الأموال والآثارالأرمنية التى سرقوها من الأرمن وكنائسهم ، وقناعتى هى الحق الأرمنى لا يُسترد إلا بالقوة ، وهذا هو الحل الوحيد عندما تعرف تركيا أن للأرمن قوة لا يُستهان بها .

الحلم التركى فى ذكرى مئوية الإبادة

تسعى تركيا جاهدة لتحقيق حلمها بالانضمام للاتحاد الأوربى ، ، وقد تعهدت تركيا بتلبية المطالب الأوربية عبر إجراء سلسلة من الإصلاحات ، ولن تُعطى المفوضية الأوربية أية ضمانة فعلية لنيل العضوية الكاملة ، إلا بعد الاطمئنان على التحول التركى واكتمال الأهلية . واعترافها بالإبادة الأرمنية قد يرفع من رصيدها فى تحقيق حلم عضوية الانضمام للاتحاد الأوربى .

ترى **نورا أريسيان** أن الاتحاد الأوربى يفرض شروطاً قاسية ومشروعة طبعاً ، من ضمنها حقوق الأقليات ، وأوضاع النساء ، والسجناء والصحفيين وحرية التعبير . فهناك عدة شروط ليست متوفرة بعد .

ويتوقع **سيبوه سركيسيان** ألا تقبل دول الاتحاد الأوربى أبداً أن تكون تركيا عضواً بالاتحاد الأوربى ؛ لأن هذه الدول تعرف تماماً أن تركيا من الدول الداعمة للإرهاب فى العالم ، وبالتالى فدخول تركيا إلى الاتحاد الأوربى يعنى قبول تلك الدول لدعم الإرهاب ، وسوف تترتب على هذا نتائج قانونية .

ويقول **آرا سوفاليان** إن الإرث الدموى المروّع وأصحابه الأتراك مطبوع فى ذاكرة أوربا ، إرث غير قابل للنسيان . وأوربا اليوم هى الاتحاد الأوربى ، وقرارات الاتحاد ليست فردية بل جماعية . وتقوم أوربا على أساس احترام حقوق الإنسان ومواجهة الحقيقة . ألمانيا مثلاً لم تعترف فقط بإبادة آلاف اليهود ، بل اعتذرت لهم وأقامت نُصباً تذكارياً للمذابح فى عاصمتها برلين . لذا ، يجب على تركيا ليس فقط الاعتراف بمذابح الأرمن ، بل وتعويضهم معنوياً ومادياً .

موقف دول العالم فى ذكرى المئوية

يأمل الشعب الأرمنى فى كل مكان أن يعترف المجتمع الدولى بجريمة الإبادة ، وأن يعمل على تحريك القضية ، والضغط على الأتراك . ولا تظل هذه القضية على حالها من تجاهل وصمت تامين .

يقول **خاتشيك مظلوميان :** أكيد سيتغير الموقف العالمى من الإبادة الأرمنية ، والموقف من القضية فى ازدياد إيجابى مستمر .

وتعتقد **نورا أريسيان** إنه سيزداد عدد الدول التى ستعترف بالإبادة ، ربما فى أمريكا اللاتينية أو عدد من الدول العربية أو أوربا الشرقية . وتشهد مسألة الاعتراف تقدماً مع وجود جمعيات أرمنية ولجان أرمنية للدفاع عن القضية الأرمنية تتحرك مع سفارات جمهورية أرمينية فى دول عديدة للتعريف بالقضية وأهمية إدانة الإبادة ، إن لم تتصادم من جهة ثانية مع جهود تركية سلبية تُؤخِّر تلك الاعترافات .

ويرى **سيبوه سركيسيان** أنه قد تعترف دول أخرى بالإبادة الأرمنية سواء عربية أو غربية ، ولكن على الأرمن فى العالم ألا يعولوا على مجرد الاعتراف ، فهذا لا يُقدِّم ولا يُؤخِّر بالنسبة للقضية الأرمنية ، فقد يكون له بعض التأثير السياسى ، ولكن لا يُعيد الأراضى والحقوق المغتصبة من الأتراك ، وأية دولة تتكلم عن الاعتراف بالإبادة يعنى أن لتلك الدولة مصالح خاصة تُريد تحقيقها على حساب القضية الأرمنية ، وإلا لماذا انتظروا بعد مائة عام ليعترفوا بالإبادة؟ سؤال يطرح نفسه .

كيف سيستقبل العالم مئوية الإبادة؟

يتوقع **ميساك سيمونيان** أن يستقبل العالم مئوية الإبادة بالغضب والاستنكار ، والضغط على تركيا للاعتراف بحق الشعب الأرمنى . وسوف يزداد الضغط على تركيا واللوم عليها سيكون أكثر وأكثر .

ويتوقع **أنترانيج جيراجوس إجيدباشيان** مزيداً من الاستنكار والسخط والتحرك لأعلى المستويات الدولية لتحريك القضية الأرمنية .

ووفقاً **لآرا سوفاليان** سيتم فتح سجل آخر لمئوية أخرى مع مضاعفة الثقل مئة مرة . ولا يضيع حق وراءه مطالب لأن حقوقنا لم تصلنا ، وأن العواطف لا تُجدى ولا تُغنى عن جوع ولا تروى العطش . وورثة اليوم يعرفون أن هذا الإرث ليس حراماً لأنه انتقل إليهم بالصبر والقتل والدم والتهجير والتعذيب والعذاب وبدق نعال الخيل على أرجل شباب الأرمن وبقطع الرؤوس وفسخ الولدان وبقر بطون الحوامل وبارتكاب الموبقات وبالاغتصاب ، والأتراك يتمتعون اليوم بهذا الإرث الحرام ، وأصحاب هذا الإرث هم من الهائمين على وجوههم المشتّتين المنفيين المعذبين فى جهات الأرض الأربعة . وبالتالى فنحن انطلاقاً من العدالة نُطالب باسترداد حقوقنا . وهذا أضعف الإيمان .

وتعتقد **نورا أريسيان** أن المصالح المشتركة ستلعب دورها فى الجهتين ؛ أى الأطراف التى تُعادى تركيا فى الآونة الأخيرة ، ستُرحب بالفعاليات وتُطلق بعض التصريحات المناصرة للقضية الأرمنية ، أما الأطراف الأخرى فستلتزم بالصمت ، إن لم تكن تتحرك ضمنياً لإفشال أية نشاطات دولية فى إطار المئوية .

ذكريات وآلام فى مئوية الإبادة

تقول **لينا ديرونيان ـ** أرمنية مقيمة بالسويد : نحن لا ننسى ٢٤ أبريل ، فلدينا كل يوم ٢٤ أبريل يحمل معه ذكرى الإبادة لأجدادنا الذين أبادهم الأتراك ، وستظل هذه الذكرى محفورة فى الذاكرة ما حيينا ، وسيتوارثها الأحفاد حتى ينالون الاعتراف والاعتذار والتعويض من الأتراك عما اقترفوه فى حق الأرمن .

تذكر **سيلفا خاتشيك** : ونحن على أعتاب ذكرى المئوية لا يُمكن أن ننسى أجدادنا الذين ذُبحوا غدراً على أيدى الأتراك ، مما يترك فينا أثراً سيئاً لا يجعلنا نتوانى ويدفعنا إلى أن نستمر فى المطالبة بحقوقنا لدى الأتراك .

ويرى **آرا سوفاليان** أن ذكرى الإبادة موجعة ومفجعة وكابوس مزعج لا ينتهى . ففى مرحلة الطفولة الأولى، سمعتُ بالإبادة من معلمتى فى المدرسة ، وكان قد تم تكليفها بالتحدُّث عن الإبادة . وكانت وزارة التربية (سورية) تمنع تدريس التاريخ الأرمنى فى خطوة غير مبرَّرة ولا مفهومة . لقد كنا نصغى لقصص معلمتنا المبسّطة والتى تتناول موضوعات الإبادة ، ومنذ الدرس الأول بدأت همومى التى لا تنتهى والتى أُشبهها بشئ يحدث لى على الدوام وأتمنى أن أنته منه بدون جدوى .

وحسب **سيبوه سركيسيان** ، إن الابادة الجماعية للأرمن تُعد أكبر عملية إجرامية ضد شعب مسالم وأعزل فى القرن العشرين ، حيث إن العثمانيين أرادوا إفناء شعب له تاريخ وحضارة قديمة بصورة كاملة ، ولكن إرادة الأبطال الأرمن كانت أقوى من كل جيوش وأسلحة الأتراك ، والذين شاركوهم ، فالتأثيرات النفسية لدى كل الأرمن فى العالم موجودة ، ولن ينسوا قضيتهم الكبرى إلا باسترجاع حقوقهم والثأر لدماء شهدائهم المليون ونصف المليون شهيد .

ويقول **نادر أتاميان** ـ أرمنى مقيم بالعراق وعضو نادى الشبيبة الأرمنى بالبصرة ـ العراق : معظم العوائل الأرمنية لهم قصص مأساوية من جراء الإبادة ، فلى ثلاثة أخوال قُتلوا جميعاً ، ولى عمة بعد أن قتلوا ابنها الرضيع أخذها العسكر مع مجموعة من الصبايا ليرموهم فى البحر ، ولم يعرف أحد مصيرهم . وكان لوالدى أخ رضيع تركته والدته تحت شجرة فى الزاب بين سعرت وزاخو لعدم استطاعتهم على حمله وهربا من العسكر . أما والدى فتبنته امرأتان مسلمتان مع مجموعة من أطفال الأرمن ، ثمانية أولاد وبنات ، واستبدلوا أسماءهم الأرمنية واستبدلوا اسم والدى من هاجوب إلى يعقوب لحمايته من البطش التركى . وبعد سنتين وبعد أن هدأت الأوضاع أعادوهم سراً إلى أمهاتهم فى الموصل .

وتقول **سيلفا خاتشيك** : إن جدى هارب من هذه الإبادة . القصص مؤلمة ، لكن أتصور أن الجيل الأرمنى الحديث قادر على أن يُحوِّل هذا الألم إلى إصرار على النجاح والقوة .

ويذكر **ميساك سيمونيان** : أتذكر جدى وأجداد أبى والعذاب الذى حل بهم ، وأتذكر أبى عندما كان يقول لى : جده تم ذبحه عن طريق المنشار ، وتعليقه على خشب ودق المسامير بوجهه ، والآثار النفسية هى ألا أسامح الحكومة التركية وأجداد الأتراك ومن كان له يد بالموضوع .

وتُؤكد **نورا أريسيان** بأن الذكرى هى حالة إنسانية أعيشها بين العائلة والمجتمع بشكل يومى ، هى الماضى والتحديات .

الجهود التى يقوم بها الأرمن للتعريف بالإبادة :

يقول **آرا سوفاليان** : أن الخيار الوحيد المتبق لى هو لغة الفكر والعقل والحوار . وهذا موجود فى كتاباتى المتعلقة بالشأن الإنسانى على العموم وبالشأن الأرمنى على الخصوص . وكتاباتى لم يعد بالإمكان الإحاطة بها كلها لأنها انتشرت فى مواقع متعددة وتم حذف بعضها وإشهار بعضها حسب الظروف والأوضاع وقوانين المصلحة . ويتم حالياً البحث عن أعمالى فى المواقع وفى الملفات الاحتياطية الراجعة وتنصيبها فى موقعى الخاص www.arasouvalian.com .

ويرى **أنترانيج جيراجوس إجيدباشيان** : يجب أن تقوم الجهود على الإعلام والسياسة وتقديم المذكرات وإيصال دعوات الاستنكار إلى المحافل الوطنية والقومية

والدولية والمطالبة بحقوقنا المشروعة والضغط وبمختلف الاتجاهات للاعتراف بالإبادة الجماعية .

ووفقاً **لنورا أريسيان :** خلال فترة الخمس عشرة سنة الماضية ، قمتُ بدراسة المصادر السورية التى تناولت قضية الإبادة الأرمنية ونشرتها فى كتب ومقالات أمام المجتمع العربى ، من ضمنها تغطية الصحافة السورية ، والمذكرات التى غطت فترة الإبادة الأرمنية ، إضافة إلى مشاركاتى فى العديد من المؤتمرات .

ويقول **ميساك سيمونيان** بأن الأرمن سوف يقومون بأكبر الحملات ضد تركيا ، وسوف يقوم هو شخصياً بنشر المقالات عن المذبحة الأرمنية التركية بالجرائد الأردنية بأكبر عدد ممكن .

ويقول **جارو دورينيان** ـ لبنان : كأرمنى أشارك فى التعريف بالإبادة بالوسائل المتاحة ، منها المشاركة فى النشاطات واستعمال الإنترنت للتواصل وخاصة مع أتراك ؛ لإيضاح الموضوع ولاسيما الأتراك الذين لا يدرون الحقيقة ؛ لأن دولتهم قد حرَّفت التاريخ .

إديسون أرسلانيان ـ أرمنى سورى كان يعمل سابقاً بالوحدات الخاصة بالجيش السورى واشترك فى حرب تحرير الكويت ـ مقيم حالياً بالمكسيك : القيام بالمظاهرات لكسب تعاطف دول العالم التى لم تعترف بالإبادة ، والضغط على تركيا وإقامة الصلوات لأجل أرواح الشهداء .

وتُجهز **نورا أريسيان** لكتابين بمناسبة المئوية ، وتتمنى نشرهما فى الوقت المحدد .

ويقول **سيبوه سركيسيان :** إن استعداداتنا للذكرى المئوية للإبادة مثل استعدادات الأرمن فى العالم وحسب الوضع السياسى فى المكان الذى نعيش فيه .

وستكون هناك تحضيرات كبيرة من قبل الأرمن فى كل دول العالم لإحياء الذكرى المئوية للإبادة الجماعية للأرمن من حيث الإعلام والفعاليات قبل أشهر ، قد يكون له تأثير سياسى ونفسى وإعلامى .

تصورات وأحلام فى ذكرى المئوية

يرى **سيبوه سركيسيان** بأن القضية الأرمنية حلم سوف يتحقق عاجلاً أم آجلاً ؛ لأن قضيتنا الأم قضية أراضينا المغتصبة . قضية أموالنا المسروقة . قضية شهدائنا الأبرار ، فعلينا نحن الأرمن أن نُناضل ونُقاتل ونُحارب إلى أن تتحقق أهدافنا .

وحسب **نورا أريسيان :** ستكون هناك تحركات واستعدادات رسمية ، ضمن إطار تشكيل لجان برعاية حكومية ، ولجان إقليمية فى كل الدول التى تضم الأرمن فى كل القارات . وثمة فعاليات ستشمل تشييد نُصب تذكارية جديدة ومتاحف ومعارض ، لكنى أتمنى أن يتم التركيز على موضوع الأرشفة ، ونشر ما تيّسر من مواد لحفظها من الاندثار . وأحلم بالمزيد من التعمق فى القضية من الناحية القانونية ، ودفع مرحلة رفع الدعاوى للتعويض قدماً إلى الأمام .

وتقول **سيلفا خاتشيك :** أحلم بأن يأخذ صاحب كل حق حقه ، وترجع الأراضى لأصحابها ، وتُحاكم تركيا على جريمتها فى حق شعبنا الأرمنى .

خاتشيك مظلوميان يرى بأن تعترف تركيا بما ارتكبته فى الماضى القريب ، وتعتذر لها ، وما حدث لا يتكرر كما فى البوسنة ورواندا ودارفور . حلمى للقضية الأرمنية هو نفس حلمى للعالم . باختلاف لون بشرتنا ، عرقنا ، جنسنا أو ديننا ، مازلنا كلنا سكان بيت واحد وهو كرتنا الأرضية الصغيرة .

المصوّر الفوتوغرافى الفنان ألبان

١ من ٢

بقلم : هرانت كشيشيان

أكتبُ هذا المقال بمناسبة مرور ١٣٠ عاماً على ميلاد المصوِّر الفوتوغرافى أرام ألبان (١٨٨٣ ـ ١٩٦١) على الرغم من أننى لستُ دارساً متعمقاً لتاريخ الفوتوغرافيا كحرفة وفن ، وذلك يقيناً منى بأنه كان فناناً حقيقياً يستحق منا اليوم كل الاهتمام . من جهة ثانية ، هذه مناسبة جيدة كى أعطى لمحة سريعة عن أهم المصوِّرين الفوتوغرافيين الأرمن المصريين ، الذين عملوا حوالى قرن ونصف القرن من التاريخ الحديث لمصر . وأمامى الآن على مكتبى ثلاثة مراجع أساسية سأعتمد عليها فى كتابة هذا المقال . أولها هى المذكرات القيِّمة التى كتبها ألبان نفسه فى ديسمبر ١٩٥٩ ، أى قبل فترة وجيزة من وفاته بمنزله بالقاهرة فى حوالى الحادية عشرة مساءً ، يوم الثلاثاء ٤ أبريل ١٩٦١ .

وتخليداً لذكراه أصدرت زوجته شاكيه هذه المذكرات الجميلة والمكتوبة بلغة فرنسية بليغة ، فى العام التالى لوفاته ، أى فى عام ١٩٦٢ . ويبدو أن أصدقاء ألبان ومنهم الفنانين زوريان وصاروخان ، وكذلك أوچين پاپازيان (صاحب محلات پاپازيان الشهيرة للموسيقى) ألحوا عليه مراراً أن يكتب تلك المذكرات لأنهم أحسوا بأنهم بصدد فنان كبير ، رقيق المشاعر ، واسع الخبرات ، وبالتالى بإمكانه أنْ يُبدع عملاً أدبياً قيِّماً . وفعلاً ، جاءت هذه المذكرات التى تملأ ٧٤ صفحة بالقطع المتوسط ، كعمل أدبى جميل يُقرأ بتلهف ومتعة ، مفعم بالصدق والمشاعر والمواقف الإنسانية الرقيقة ، وأيضاً بومضات من الحس الفكاهى الذكى .

وتُغطى هذه المذكرات تاريخ حياة الفنان منذ البداية وحتى لحظة انتقاله النهائى من الإسكندرية إلى القاهرة فى أوائل عام ١٩٤١ . ثم تُركز بعد ذلك على قصة علاقته بشاكيه (١٩١٩ ـ ١٩٩٩) ، تلك الفتاة التى كانت تلميذته ثم أصبحت زوجته فى عام ١٩٥٤ ، فامتلكت وأدارت بعد وفاته ذلك الإستوديو الشهير ، فأدارته بإمتياز لمدة ربع قرن تقريباً . وسأعتمد على هذه المذكرات اعتماداً أساسياً .

ثم لدينا مرجعان آخران . أولهما هو الكتاب المهم من تأليف صديقنا الدكتور محمد رفعت الإمام باللغة العربية ، وهو بعنوان «عصر الصورة فى مصر الحديثة ١٨٣٩ ـ ١٨٢٤» ، الذى ربما يكون هو الأول من نوعه فى العالم العربى ؛ إذ يعرض تاريخ الفوتوغرافيا بإيجاز، ثم يتحدث عن انتقالها المبكر إلى مصر وتداعيات ذلك على المستوى الثقافى والاجتماعى بل وحتى الدينى !! ونجد فى هذا الكتاب بعض الملاحق

المهمة التى تُثرى الموضوع الرئيسى .

ويتحدث المؤلف فى الفصل الثانى من الكتاب المذكور عن المصوِّرين الأجانب الذين أدخلوا ومارسوا هذه الحرفة الوليدة إلى مصر . والصفحات ٥١ ـ ٥٤ تُعطينا بعض المعلومات القيِّمة عن المصوِّرين الفوتوغرافيين الأرمن المصريين الأوائل . ولقد صدر الكتاب بالقاهرة ، حيث نشرته دار الكتب والوثائق القومية فى عام ٢٠١٠ .

أما المرجع الثانى فهو كتاب مهم أيضاً باللغة الإنجليزية صدر فى لندن والقاهرة وذلك بواسطة الجامعة الأمريكية بها ، وتاريخ الإصدارين هو عام ٢٠١٠ . وعنوان هذا الكتاب هو «الفوتوغرافيا فى مصر» ، من تأليف السيدة ماريا جوليا Maria Golia ويتضمن الكتاب المذكور فصلاً كاملاً وهو الفصل الثالث ، مخصَّصاً لتقديم المصوَّرين الفوتوغرافيين الأرمن فى مصر . فالتغطية هنا أكثر شمولاً (ص ٩٥ ـ ١١٦) .

بعد ذلك لدينا مراجع ثانوية أو لنقل مكمِّلة ، ومنها المجلد الثالث من مؤلَّف المؤرخ الأرمنى المصرى أرداشيس كارداشيان ، وهو باللغة الأرمنية وعنوانه «مواد خاصة بتاريخ الأرمن فى مصر» . وفى هذا المجلد الذى صدر فى ديسمبر ١٩٨٧ وعلى صفحة ٤٠ منه ، نجد معلومات قيِّمة عن والد الفنان أرام ألبان ، وهو مجرديتش أرناڤوديان (١٨٤٥ ـ ١٨٩٩) ، ثم نجد على الصفحة المقابلة صورة جماعية جميلة للوالد الذى كان يعمل آنذاك مديراً لمدرسة بوغوصيان الأرمنية بالإسكندرية ، محاطاً بتلاميذه . ويجلس الصبى أرام فى منتصف الصورة وبينه وبين أبيه المدير نجد على المنضدة نموذجاً للكرة الأرضية . ولقد أُخذت هذه الصورة غالباً فى أواخر العام الدراسى ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ ، أى عندما كان أرام آنذاك فى الثالثة عشرة من عمره ، ولكنه يبدو فى الصورة أصغر حجماً من عمره لأنه كان قصير القامة (حوالى ١٥٠ سم) ونحيف جسدياً مثل والده تماماً .

بعد ذلك لدينا مراجع أقل أهمية فى هذا الشأن ، مثل كتاب «تاريخ الثقافة الأرمنية المصرية» (باللغة الأرمنية) لمؤلفه أڤيديس يابوچيان (ص ٤١١ ـ ٤١٢) .

أما الفنان يرڤانت دميرچيان (١٨٧٠ ـ ١٩٣٨) ، فلقد كان أول من ذكر أرام ألبان كأحد أهم المصوِّرين الفوتوغرافيين بالإسكندرية فى مقال له نُشر بإحدى الدوريات السنوية الأرمنية فى عام ١٩١٤ . وكان هذا المقال عن دور الأرمن فى الأنشطة والمجالات المختلفة بمصر آنذاك .

وأخيراً سنجد معلومات قيِّمة عن ألبان على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) من خلال موقع البحث «جوجل» ، لكن سنُلاحظ أن بعض المعلومات قد تكون خاطئة أحياناً ، لاسيما بالنسبة للتواريخ .

* * *

إن العدد الكلى للمصوِّرين الفوتوغرافيين الأرمن المصريين إلى اليوم يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ مصوِّراً . وذلك منذ أن قام مصوِّر فوتوغرافى اسمه پاسكال صباح ، الذى يُقال أنه من أرمن سورية (حسب ماريا جوليا) ، بتصوير المدخل الشمالى لقناة السويس عند بورسعيد بمناسبة افتتاحها ، أى فى يوم ١٨ ديسمبر ١٨٦٩ (انظر كتاب الفوتوغرافيا فى مصر لماريا جوليا ص ٤٢ ـ ٤٣) .

ويوجد كتاب وحيد من نوعه باللغة الأرمنية صدر بالقاهرة فى عام ١٩٣٩ ، وهو بعنوان «إحصاء الأرمن فى مصر والسودان» ، نجد أن عدد المصوِّرين الفوتوغرافيين المذكورين هو حوالى ٨٠ مصوِّراً ، كانوا يُمارسون حرفتهم فى ثلاثينيات القرن العشرين . ولو

افترضنا أن الجالية الأرمنية أفرزت بعد ذلك نفس هذا العدد ، وأن عدد المصوِّريين الأوائل كان حوالى ٢٠ مصوِّراً ، فإننا نستنتج بأن العدد الإجمالى كما ذكرت يتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ مصوِّراً .

ولكن إذا نظر إلى الفوتوغرافيا كفن إبداعى وليس مجرد حرفة ، فإننا سنكتشف أن عدد المصوِّرين الفوتوغرافيين الذين يُمكننا أن نصفهم بالفنانين لا يزيد عن ١٥ مصوِّراً ، وبالطبع منهم فناننا أرام ألبان . وربما أقدم هؤلاء هم الإخوة عبد الله ، ثم جرابيد ليكيچيان الذى صوّر فى عام ١٩١١ الموسيقار جوميداس عند زيارته للقاهرة . بعد ذلك يجب أن نذكر أبكار ريتيان Apkar Retian فى الإسكندرية ، أحد زملاء ألبان بالثغر والذى تتلّمذ على يديه عدد من المبتدئين . ولقد تميّز فى تصوير مناظر جميلة من شوارع وأحياء الإسكندرية . وهناك أيضاً أراكيل أرتينيان صاحب إستوديو ڤينوس الشهير بالقاهرة . أما ڤان ليو Van Leo (واسمه الأصلى هو ليڤون بوياچيان) فهو ربما أشهر المصوِّرين الفوتوغرافيين الأرمن المصريين الذين يُعتبرون اليوم من بين أهم مصوِّرى القرن العشرين .

بعد ذلك يجب أن نذكر أرميناك أرزرونى وجارو ڤارچابيديان وابنه ڤاهى ڤارچابيديان الذى يُعد أيضاً واحداً من أهم الفنانين المصوِّرين (الرسامين) الأرمن المصريين المعاصرين . ولدينا أيضاً أرشاك صدفچيان ، وهاجوب كيروبيان الذى عمل فترة من حياته لدى هانسلمان Hanselman المصوِّر الفوتوغرافى للأسرة الملكية المصرية فى الفترة ١٩٠٠ ـ ١٩٣٠ .

وأخيراً لدينا حفنة من المصوِّرين الفوتوغرافيين الذين بدأوا فى مصر ولكنهم أكملوا مشوارهم بنجاح فى بلاد أخرى ، مثل أرتين كاڤوكيان الذى هاجر إلى كندا فى عام ١٩٥٨ وأرا أڤيديسيان ابن الفنان المصوِّر أونيج أڤيديسيان الذى تتلّمذ على ألبان ثم هاجر فى عام ١٩٦٢ إلى كندا ، وفى النهاية أنترانيج كوتشار الذى هاجر إلى أرمينية السوڤيتية فى عام ١٩٤٧ ونقل إليها بعض التقنيات المتطورة التى لم تكن معروفة هناك آنذاك .

ونصل الآن إلى الخوض فى حياة فناننا أرام ألبان .

* * *

ولد أرام أرناڤوديان Aram Arnavoudian الشهير بأرام ألبان فى ٣٠ يولية ١٨٨٣ ، وذلك بأحد الأحياء المكتظة بالأرمن على البر الشرقى «الأسيوى» لمدينة الأستانة . وهى المنطقة المسماة إسكودارى Scudari .

كان والده التربوى مجرديتش أرناڤوديان (١٨٤٥ ـ ١٨٩٩) يعمل مديراً لمدرسة أرمنية بالحى تُسمى مدرسة نرسيسيان ـ يرمويان بمنطقة الإيچادية بحى إسكودارى ، فألحق ابنه بروضة الأطفال الخاصة بهذه المدرسة . وكانت تُوجد بها تربوية شابة أحبّت الطفل أرام لرقته وضآلته . وعندما عرفت اسم عائلته قام بتبديله إلى ألبان ، لأن كلمة «أرناڤود» التركية تعنى «ألبانى» فى اللغة الأرمنية .

بعد الانتهاء من الحضانة ألحقه والده فى مدرسة بربريان الشهيرة بحى قاضى كوى Kadikoy ، الواقع أيضاً على الجانب الأسيوى للأستانة .

وفى عام ١٨٩٤ تم استدعاء الوالد من قِبل الجالية الأرمنية بالإسكندرية لإدارة مدرسة بوغوصَيان بها ، حيث أدارها حتى عام ١٨٩٧ ، ثم تم إقصاؤه من مركزه حيث عانت العائلة من الفقر .

وطبيعى أن الوالد ألحق ابنه أرام فى مدرسته . ولكن بعد عامين ألحقوه بالمدرسة السويسرية فى الثغر حتى يتمكن من اللغة الفرنسية . وبعد وفاة الوالد فى أغسطس ١٨٩٧ ، أصبحت أسرته فى حالة مالية

صعبة ، فاضطر أرام أن يلتحق بالقسم المجانى بمدرسة الفرير التابعة للرهبان الكاثوليك . لكن الصبى ألبان لم يتمكن من الاستمرار فى هذه المدرسة نظراً لنظامها الصارم . ولذا ، غادرها إلى مدرسة دون بوسكو الإيطالية حيث وجد بها عكس ما كان موجوداً فى مدرسة الفرير من احترام ومحبة بين المدرسين والتلاميذ . وكانت هذه فرصة كى يتعلم اللغتين اللاتينية والإيطالية ، فاجتهد بمساعدة أحد الأساتذة وتقدّم كثيراً فى هذه اللغة . وهكذا أصبح متمكناً وبدرجات مختلفة من الاتقان فى كل من اللغات الأرمنية والتركية والفرنسية والإيطالية والإنجليزية (إلى جانب اللاتينية التى هى لغة الكلاسيكيات) . وقد ساعدته هذه المعرفة باللغات فى التقدم كثيراً فى حياته كما سنرى لاحقاً . علاوة على ذلك أصبح إنساناً يُحب الدراسة والقراءة طوال حياته . وهذا أيضاً ساعده كى يُصبح فناناً متكاملاً (إلى جانب موهبته الطبيعية) .

يقص ألبان فى مذكراته أنه كان يذهب فى صباه أحياناً إلى احدى الحدائق العامة القريبة من منزلهم بالحى ليستمع إلى جوقة موسيقية تعزف الألحان الشعبية الأوربية فى كشك الموسيقى .

إن هذه القصة تذكرنى بموقف مشابه فى حياتى ، حيث كان والدى يأخذنى فى صباح أيام الأحد فى أوائل الخمسينيات إلى حديقة الحيوان بالجيزة التى كانت قريبة جداً من منزلنا ، وذلك لنستمع إلى جوقة الموسيقى العسكرية النحاسية التى كانت تقوم بعزف بعض الألحان المصرية والأوربية البسيطة الجميلة . وكان ذلك بالنسبة لى هو أول استماع حى للموسيقى ؛ أى الموسيقى التى ليست مسجلة فى إسطوانات بل تُسمع مباشرة وهى تُعزف أمامكَ . وهذه متعة مختلفة تماماً . ولقد كنتُ انتظر تلك اللحظة بفارغ الصبر ، ولكن مع الأسف زالت هذه العادة من القاهرة منذ زمن بعيد ، وقد كانت أفضل مناسبة كى يستمتع أفراد الشعب المصرى من البسطاء بتلك التجربة التذوقية الرائعة لفن من الفنون الجميلة .

عودة إلى ألبان ، فإنه يقص أيضاً بأن والده مجرديتش اشترى له آلة كمان وهم مازالوا فى الأستانة ، فبدأ يُحاول العزف عليها بدون معلم . وبعد فترة من انتقال العائلة إلى الإسكندرية فى عام ١٨٩٤ ، تعرّف الوالد بموسيقى اسمه چون پاپازيان أسس فى عام ١٨٩٥ محلاً شهيراً لبيع الآلات والمستلزمات الموسيقية .

ولذا ، طلب چون أن يُدرِّس مجرديتش لابنه أوچين اللغة الأرمنية مقابل أن يُدرِّس هو لأرام الصبى الموسيقى لاسيما مادتىّ العزف على الكمان والصولفيچ . وكان أوچين صبياً من زملاء أرام حيث أصبح الاثنان فيما بعد من أعز الأصدقاء ، وعلى مدى العمر كله . ولإثراء معلومات القارئ سأضيف بأن أوچين هذا هو الذى أدار مع أخيه چول فيما بعد وفاة والدهما چون محلين لپاپازيان فى كل من الإسكندرية والقاهرة .

وعندما كان تلميذاً فى مدرسة الفرير ، تعرّف ألبان على شخص متعدد المواهب وواسع الثقافة اسمه إسحق شونر Isaac Schoner كان يعمل منجداً للأثاث ولكنه هاوياً جاداً للموسيقى . وأصبح الاثنان يُمارسان العزف الثنائى معاً فى مساء بعض الأيام . ولكن بعد موت الوالد مجرديتش فى عام ١٨٩٩ انقطعت هذه العلاقة ، فالتحق ألبان تلميذاً لدى مربية عظيمة فى تلك الفترة اسمها زينوبى أوهانيان ، وفى نفس الوقت بدأ إعطاء بعض الدروس الخصوصية للأطفال للعزف على آلة المندولين لكسب قوته (حيث بدأت العائلة تُعانى الفقر) .

وهذه الانشغالات الكثيفة لألبان مع الأعباء المدرسية

تسببت له فى آخر المطاف أن يُصاب بانهيار عصبى . فاضطر أن يقطع دراسته ذاهباً مع والدته فى عام ١٩١٠ إلى جزيرة كريت لمدة ثلاثة أشهر حتى يسترجع صحته .

بعد عودته مع والدته من كريت لم يعد ألبان للمدرسة ، بل اضطر أن يعمل كمعلم للموسيقى ، وأيضاً خلال عام نظم مع بعض أصدقائه الموسيقيين ثلاث حفلات موسيقية فى قاعة مونفيرّاتو Monferrato الشهيرة آنذاك . وقد كان عدد السكان بالإسكندرية فى أوائل القرن العشرين هو حوالى ٣٠٠٠٠٠ نسمة ، كان سُدسهم من أفراد الجاليات الأجنبية النشطة ثقافياً .

إلى هنا لم تكن لألبان أية علاقة بالفوتوغرافيا ، إذ كان يُخطط لنفسه أن يُصبح موسيقياً محترفاً ، إلا أنه حدث فى أحد الأيام عام ١٩٠٢ أنه زار عابراً محل أحد معارفه من مصورى الفوتوغرافيا اسمه أرشاج بيليان Arshag Belian . وكان ذلك المحل متواجداً فى حديقة مسرح الهامبرا الشهير . فلاحظ الشاب ألبان بذكاء أن بيليان هذا كان يكسب قوته بمجرد الضغط على زر ودون بذل مجهودات ذهنية كبيرة ، ففكر بأن لو مارس تلك الحرفة لسوف تساعده على استرجاع صحته المنهارة ! وظل ألبان الشاب يُواظب لفترة الذهاب إلى محل بيليان إلى أن حدث بأن أحد أقربائه وجد فرصته لعمل عدد كبير من الصور الفوتوغرافية الخاصة للمشتركين من الركاب فى شركة ترام الرمل . فاقترح ألبان على بيليان أن يقوم بإنجاز تلك المهمة المربحة ، على أن يعمل هو نفسه مساعداً له . ولقد استمر أداء تلك المهمة عاماً وثلاثة أشهر ، كسب منها بيليان مبالغ كبيرة طوّر بها محله وازداد ثراءً ، أما ألبان فكان يحصل على الفتات !! ويقول ألبان كان وزن بيليان يزداد على حساب شركة ترام الرمل وكلما كان يزداد سمنة كلما كنتُ ازداد بؤساً .

وأخيراً احتج ألبان (وكان ذلك خلال عام ١٩٠٣) وأراد دوراً أكبر فى المحل ، فأعطى له بيليان آلة تصوير من نوع «الصندوق» ، وكذلك اثنا عشر لوحاً من الألواح الحساسة وقال له صوّر بنفسكَ وسنرى ماذا ستفعل . وغالباً كان ذلك سخرية من بيليان علاوة على أنه أراد التخلص من ألبان بواسطة إحراجه (بعد أن افترض أنه سيفشل فى تلك المهمة) .

بعد حوالى ساعة ، عاد ألبان وفى حوزته «١٢» لوحاً سالباً . وبعد أن تم تحميض هذه الصور ، ظهرت الحقيقة وهى أن ألبان تمكن من تصوير صوراً جميلة متوازنة التكوين والإضاءة .

ابتسم بيليان عندما شاهد تلك الصور الناجحة ، وكما يقص ألبان فيقول بأن تلك الابتسامة كانت الأخيرة منه . ولقد ساءت العلاقة فيما بينهما من يوم إلى آخر . ومن جديد جاء الإنقاذ من قريبه كارنيج الذى تدخّل لدى مدير شركة ترام الرمل (الذى غالباً كان بلچيكياً) ، حيث أحس بالحماس لدى ألبان الشاب فأمر بأن تُبنى من أجله ورشة خاصة أبعادها ٣ × ٧ متراً ، داخل حديقة الشركة ، وكان ذلك فى عام ١٩٠٤ .

من جهة أخرى أحس ألبان أن آلة التصوير الخاصة بالشركة ليست كافية لإرضاء طموحاته ، ولذا ، باعت والدته آخر سند للبنك العقارى Credit Foncier لدى العائلة فاشترت بالمبلغ آلة تصوير احترافية مقاسات ١٣ × ١٨ سم من أجل ابنها .

يقول ألبان فى مذكراته : فى تلك اللحظة التى امتلكت فيها محلاً خاصاً بى ، بها «غرفة سوداء» ، وعلاوة على ذلك امتلكت آلة تصوير فوتوغرافى خاصة بى ، شعرتُ بأننى أسعد إنسان فى الدنيا .

فى نفس الوقت بدأ ألبان (وهو فى الواحدة والعشرين من عمره) أن «يلتهم» جميع الكتيبات التى

كانت تشرح تقنيات التصوير الفوتوغرافى ، حتى يزيد من معارفه فى ذلك المجال . كذلك كان يُداوم على دراسة كل ما هو جديد فى الأسواق من معدات وإمكانيات خاصة بحرفته . ومع الأيام قام بتصوير جميع موظفى شركة الترام ، مع أفراد عائلاتهم . فاكتسب تدريجياً شهرة المصورِّ الفوتوغرافى «الفنان» . ويجب أن نُضيف هنا بأن معرفته باللغات الأجنبية لعبت أيضاً دوراً كبيراً فى نجاحه ، إذ أن أغلب موظفى شركة الترام كانوا من أفراد الجاليات الأجنبية بالإسكندرية .

وعلى أثر ذلك النجاح بدأ يكسب شهرياً من ثلاثين إلى خمس وثلاثين جنيها إسترلينياً ، وهو مبلغ كبير كان يُعادل مرتب أحد المهندسين فى شركة ترام الرمل . ومع هذا لم تتحسن حالته المالية ؛ إذ تصادف أن مرضت والدته ، فأنفق معظم المبالغ التى كسبها على علاجها . واستمر ذلك الحال عامين إلى أن توفيت الوالدة فى عام ١٩٠٦ . ولقد أحس ألبان بعد وفاتها بأنه وحيد تماماً فى هذا العالم .

واستمرت الأيام ، حيث تمكن ألبان من تخطى حزنه على والدته ، وكرَّس حياته بالكامل لفن التصوير الفوتوغرافى ، وأحس أنه الآن أصبح بمثابة رسالته الأساسية فى الحياة .

وخلال عام ١٩٠٧ بدأ ألبان يزور من حين لآخر إستوديو المصورِّ الفوتوغرافى أونّيج طاشچيان Onnig Tashjian وذلك من قبيل الترفيه والتغيير . فلاحظ أن طاشچيان لم يكن مهتماً بعمله جدياً ، فيُؤجل تنفيذ طلبات زبائنه بقدر الإمكان وكأنه لا يُريد كسب المال . فاندهش ألبان وسأله عن السبب ، فقال له طاشچيان بأنه يُحقق أرباحاً طائلة من وراء شراء وبيع الأراضى . أما حرفة الفوتوغرافيا فهى ذات أهمية ثانوية بالنسبة له . ولذا ، اقترح ألبان أن يقوم هو بتحميض وتكبير الصور حتى لا يتعب طاشچيان نفسه ، فوافق الأخير على ذلك وعلَّم ألبان تقنيات التحميض الأكثر تطوراً وتقنيات التكبير ، وترك الأمر له تماماً .

وأصبح ذلك فرصة لألبان أن يُطوِّر نفسه كمصورِّ فوتوغرافى . ويقول بأن «طاشچيان لم يكن يُكافئنى مالياً ، ولكننى فى مقابل ذلك كنتُ اكتسب خبرة ومعرفة» .

وهنا نجد الفرق بين المصورِّ الفوتوغرافى التقليدى الذى يتخذ لنفسه من هذه الحرفة مجرد «حرفة يتعيش منها» ، وبين المصور الفوتوغرافى الفنان الذى يعشق مهنته ويُحاول الوصول بها إلى مرتبة رفيعة .

وفى أحد الأيام جاءت لحظة حاسمة ، إذ زار أحد المهندسين المعماريين إستوديو طاشچيان ، يطلب منه أن يقوم بتصوير بعض المبانى التى كانت من تصميمه . فلم يأخذ طاشچيان الأمر مأخذ الجد قائلاً : «هل يستحق الأمر التجول فى شوارع الإسكندرية حاملاً آلة التصوير الفوتوغرافى ، وذلك من أجل بعض الجنيهات البائسة؟» .

انتهز ألبان هذه الفرصة وقام هو بنفسه بتنفيذ تلك المهمة ، فصورّ تلك المبانى من زوايا مميزة جمالياً ، علاوة على أنه ضم بعض الأشجار الجميلة فى تلك الصور لإثراء التكوين . وعندما رأى طاشچيان تلك الصور سأل ألبان قائلاً : ألم تُلاحظ وجود تلك الأشجار ؟ ثم قام بإلقاء تلك الصور فى صندوق القمامة .

كان ذلك محرجاً بالنسبة لألبان الذى قام «بإنقاذ» تلك الصور التى أخذها قريبه كارنيج لتثبيتها على جدران مكتب عمله ، على أساس أنها أعمالاً فنية . وكما يقول ألبان فى مذكراته ، «كانت تلك هى أول صور فوتوغرافية ذات قيمة فنية صوَّرتها فى حياتى» .

بعد ذلك قال طاشچيان لألبان فى أحد الأيام بأنه

سيُؤسس إستوديو فى حى فخم بحديقة الكازينو الشهير آنذاك «كازينو برج إيفل» ، واتفق مع ألبان الشاب أن يكون شريكاً له . وكانت تلك فرصة انتهازية من جانب طاشچيان الذى أراد أن يستخدم ألبان كى يكسب من وراء مجهوداته المبالغ الطائلة .

ولقد تم فعلاً تأسيس ذلك الإستوديو ، حيث كان ألبان يقوم فيه بأغلب الأعمال ، من استقبال الزبائن والتحدث معهم باللغات المختلفة ، ثم ترتيب جلوسهم أمام آلة التصوير ثم القيام بالتصوير . وبعد ذلك بطبع الصور وتسليمها للزبائن فى الوقت المناسب وبدون تأخير . أما طاشچيان الذى كان لا يعرف من اللغات سوى الأرمنية وقليل من العربية فكان دوره يتلخص فقط فى تحصيل الأموال وهو جالس على «الكيس» .

وأصبح الجميع يأتون لألبان لتصويرهم ويعتبرون أن الإستوديو خاص به هو فقط ، فلم يكن أحد يعرف طاشچيان الذى بدأ يشعر بالغيرة والحقد ، ولم يتمكن أخيراً من السيطرة على نفسه فهاجم ألبان بعنف . فقال له هذا الأخير : «ما ذنبى أنا فى هذا الأمر؟ فأنت لا تعرف اللغات ولا تفعل شيئاً فى المحل غير استلام المبالغ» .

وعلى كل حال ، كان ألبان أيضاً يشعر بضيق من توتر علاقته مع طاشچيان ، فقرر بجرأة وشجاعة ترك الإسكندرية . ثم حصل على مبلغ ٢٥ جنيهاً مقابل قيامه بتصوير صور المشتركين فى شركة ترام الرمل (لأنه بذكاء لم يكن قد فض ارتباطه بتلك الشركة) ، وقرر السفر إلى الأستانة للاستجمام ، وغالباً أيضاً لرؤية الأماكن التى قضى بها حياته المبكرة .

لكن كان حظه سيئاً ، إذ بعد يومين من وصوله الأستانة فى ٢٢ أبريل ١٩٠٩ ، وقعت أحداث ثورية فى تركيا العثمانية حيث تم على إثرها خلع السلطان عبد الحميد عن عرشه فى ٢٧ أبريل ١٩٠٩ . فاضطر ألبان تحت ضغط حالة الذعر والفوضى التى سادت المدينة إلى تركها ، فركب سفينة متجهة إلى مدينة نابولى الإيطالية .

وصل ألبان نابولى فى أواخر شهر أبريل . وكما يحكى فى كتابه ، أُصيب فور وصوله بحالة نفسية هستيرية جعلته يأكل بنهم إلى أن أُصيب بالتخمة ، فسقط مريضاً لمدة أسبوع ، وبعد ذلك ركب أول سفينة متجهة إلى الإسكندرية . ولقد كان ذلك فى أوائل شهر مايو ١٩٠٩ ، إذ كان وقتذاك فى السادسة والعشرين من عمره .

وفور وصوله الإسكندرية ذهب ألبان وقابل طاشچيان وقال له «لا أريد أن أكرر تجربتى المريرة معك» . فوافق طاشجيان على ذلك ، فخرج من عنده ألبان مفلساً ولا يعرف ماذا يفعل . ولكن ، ومن حسن حظه قابل بعض الأصدقاء والمعارف الذين ساعدوه معنوياً ومالياً حتى تمكن أخيراً من استئجار شقة لمدة ستة أشهر فى الدور الثانى من المبنى المقابل لإستوديو طاشچيان .

وفى خلال شهر تم تجهيز تلك الشقة التى تحولت إلى إستوديو مناسب للتصوير الفوتوغرافى . فما لبث أن بدأ ألبان يجذب الزبائن من جديد إلى الإستوديو الخاص به ، مما أصاب طاشچيان بموجة جديدة من الحقد والكراهية . والذى حدث بعد عدة أسابيع أن دب حريق (متعمد) فى إستوديو طاشچيان ، حصل هذا الأخير على أثره على مبلغ كبير من شركة التأمين ، فجهز لنفسه إستوديو جديد أفخم من السابق . ولقد قام أيضاً بتوظيف مصور فوتوغرافى إيطالى موهوب مما اجتذب الكثيرين . بالإضافة إلى ذلك قام طاشچيان بحملة دعائية واسعة فى أرجاء الإسكندرية وجعل أسعاره أقل بكثير من أسعار ألبان ، وذلك بالطبع بهدف تدمير هذا الأخير . ويقول ألبان بهذا الصدد «جاء دورى حينئذ فى الاحساس بمرارة الفقر» .

لكن مع ذلك تماسك ألبان ووجد حلاً لمشكلته . إذ وجد شقة واسعة فى أحد أشهر وأفخم شوارع الإسكندرية آنذاك ، وهو شارع رشيد ، فى عمارة كان يمتلكها شخص من عائلة القرداحى . فذهب واتفق مع صاحب العمارة واستأجر منه تلك الشقة وحولها إلى إستوديو واسع وفخم كان يحتوى على صالة لاستقبال الزبائن ، وصالة للقيام بالتصوير ، ومعمل لتجهيز الصور ، بل وشرفة بها «حديقة معلقة» (حسب كلمات ألبان نفسه) .

لكنه فى نفس الوقت أصبح مثقلاً بديون عليه وصلت إلى سبعمائة جنيهاً . بالإضافة إلى ذلك كان عليه أن يدفع شهرياً عشرون جنيهاً كأجرة للشقة . من ناحية أخرى تصادف أن أصابت مصر فى تلك الفترة أزمة اقتصادية حادة . فأصبح ألبان لا يكسب إلا القليل جداً ، فكافح لحوالى العام ولكنه أصيب أخيراً باليأس ، مما دفعه التفكير إلى إلغاء مشواره كمصور فوتوغرافى ، وفكر فى السفر إلى روما للعمل كممثل كوميدى فى إحدى إستوديوهات السينما الناشئة هناك .

لكن فى مقابلة له مع السيد قرداحى أقنعه هذا الأخير بالعدول عن رأيه قائلاً بأن العالم كله يعانى من الأزمة الاقتصادية ، مع ذلك يعتقد بأنها ستزول فى وقت قريب . وأضاف بأن يمكنه أن يدفع ما عليه من ديون حينما تصبح حالته المالية أفضل عما هى عليه الآن . وكان ذلك اللقاء فى ديسمبر ١٩١٠ .

فى يناير من عام ١٩١١ تحسن الحال بعض الشئ ، فزاد داخل ألبان اليومى إلى الضعف ، أى أصبح أربع جنيهات ، ولكنه مازال لم يتمكن من سداد ما عليه من ديون ، لكن من حسن حظه ساعده أحد زبائنه الأثرياء وكان اسمه ماكس دبانة ، إذ قدم إليه هدية مبلغاً يعادل ٢٠٪ من ديونه . ولقد قبل الدائنون ذلك برحابة صدر ، مما جعل ألبان فى حالة نفسية واجتماعية أفضل ولو مؤقتاً ، وتحول حظه العاثر إلى الأفضل .

وعلى إثر ذلك تضاعفت مكاسبه اليومية ، فكون فى الإستوديو مكتبة تضم الكتب الفنية واحضر آلة بيانو عمودية Vertical Piano وبدأ يدعو عدة مرات فى الإسبوع أصدقاءه من المثقفين والموسيقين الذين كانوا يعزفون المقطوعات الكلاسيكية ، فتقضى المجموعة أمسية ثقافية جميلة . ويقول ألبان عن ذلك «لقد كنت رجل الساعة ، وكنت سعيداً» .

سوريـــــــة

فى ٢٤ سبتمبر ٢٠١٣ ، تم الاحتفال بالعيد الثانى والعشرين لاستقلال أرمينية فى قاعة آنى بمركز آرام مانوجيان ، والذى نظمته القنصلية العامة لجمهورية أرمينية فى حلب . وقد حضر الاستقبال رؤساء الطوائف الأرمنية الثلاث فى حلب وممثلون عن الجمعيات الثقافية والخيرية الأرمنية ، وكذلك العديد من سكان حلب ذوى الأصول الأرمنية . وخلال الاستقبال ، ألقى قنصل أرمينية فى حلب جارين كريكوريان كلمة تحدث فيها عن إنجازات أرمينية خلال السنوات الاثنين والعشرين الماضية ، وكذا ، المشروعات الاجتماعية والاقتصادية للجمهورية علاوة على نشاط القنصلية الأرمنية فى حلب خلال العقدين الماضيين .



القاهرة المصرية
مدينة الألف مئذنة والمائة باب

بقلم : أحمد سعيد

فى سنة ٦٤٠ دخل الإسلام إلى مصر على يدىّ عمرو بن العاص الذى اقتحم بجيشه «حصن بابليون» حيث كانت تُعسكر القوات الرومانية . وبالقرب من هذا الحصن المنيع الذى يقع حالياً بحى «مصر القديمة» ، أنشأ عمرو مدينة «الفسطاط» لتصبح أول عاصمة لمصر الإسلامية . وفى سنة ٧٥٠ استولى العباسيون على مصر وقتلوا «مروان بن محمد» آخر الخلفاء الأمويين ، وكان قد لجأ إلى مصر هرباً منهم بعد أن استولوا على ملكه . وأنشأ العباسيون عاصمة جديدة لمصر أسموها «مدينة العسكر» . وفى سنة ٨٧٠ أنشأ «أحمد بن طولون» أول من حكم مصر من الأتراك ، عاصمة أخرى أطلق عليها اسم «القطائع» .

وكانت هذه العواصم الإسلامية الثلاث مدناً متقاربة تكاد حدودها تتداخل وتتلامس ، وإن كانت جميعها بلا أسوار ولا تحصينات ، إلى أن وصلت جيوش المغاربة الفاطميين إلى مدينة «الجيزة» التى تقع على الضفة الغربية للنيل فى مواجهة تلك العواصم الإسلامية الثلاث التى تقع جميعها على الضفة الشرقية المقابلة .

بناء القاهرة

عبر الجيش الفاطمى مجرى النيل بقيادة «جوهر الصقلى» واستولى بسهولة على العواصم الثلاث . وكان ذلك فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ الموافق ٦ يولية سنة ٩٦٩ م .

وعسكرت الجيوش الفاطمية الغازية فى الأرض الفضاء الواسعة التى يُشرف عليها جبل المقطم فى الشرق ، ويحدها من الغرب مجرى مائى متفرع من النيل اسمه «الخليج المصرى» كان يصل ما بين العواصم المصرية الإسلامية ومدينة القلزم (السويس) على البحر الأحمر . وقرر جوهر أن يبدأ على الفور بناء العاصمة الجديدة ـ الرابعة ـ لمصر ، وإذا كان البعض يتشكك فى

باحث بوزارة الثقافة المصرية

قصة الغراب التى حددت الموقع الذى يبنى فيه العاصمة الجديدة ، فإن هناك رواية أخرى يذكرها بعض المؤرخين حول اسم مدينة القاهرة ، فيقولون إن اسم المدينة كان «المنصورية» ، وذلك تيمناً بإسم مدينة المنصورية التى أنشأها الخليفة الفاطمى المنصور بالله ـ والد الخليفة المعز لدين الله ـ بجوار مدينة «القيروان» . غير أن الخليفة المعز غيّر هذا الاسم إلى «القاهرة» حين سمع حكاية الكوكب القاهر الذى طلع بسماء المدينة لحظة البدء فى بنائها .

قاهرة المعز

كانت القاهرة أيام المعز لدين الله مدينة ملكية عسكرية لا يسكنها إلا الفاطميون وجيوشهم . كانت

عبارة عن معقل حصين يسكنه الخليفة وحريمه وأسرته وجنوده ورجال دولته ، وأهم مبانيها القصر الكبير والقصر الصغير ، وكانا مخصصين للخليفة ، وتقع بينهما منطقة «بين القصرين» التى خلّدها نجيب محفوظ فى أهم رواياته . بالإضافة إلى قصور أخرى أقل فخامة كانت مخصصة للأمراء وقادة الجيوش ومعسكرات الجنود .

وكانت مساحة المدينة لا تتجاوز ٣٤٠ فداناً ، منها ٧٠ فداناً لقصرىّ الخليفة و٣٥ فداناً كحدائق وبساتين و٣٥ فداناً للشوارع والميادين . أما المائتا فدان المتبقية ، فقد وزعت على قبائل زويلة والبرقية وغيرهما من القبائل التى كانت تتألف منها جيوش الفاطميين .

وبطبيعة الحال فقد كان أهم مبانى القاهرة على الإطلاق هو الجامع الأزهر . وكانت تُحيط به وتجاوره بعض الدور المخصصة لدواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح . وكان يحد المدينة من جوانبها الأربعة سور مبنى بالطوب اللبن ، أقيم فى كل ضلع من أضلاعه بابان كبيران مبنيان بالحجر .

ولم يكن مسموحاً لأبناء الشعب المصرى بدخول مدينة القاهرة إلا بعد الحصول على إذن أو تصريح خاص . كما لم يكن مسموحاً للسفراء والمفوضين الأجانب بدخول المدينة راكبين خيولهم . وكان عليهم أن يترجلوا ويسيروا على أقدامهم فى حراسة جنود الجيش الفاطمى .

المصريون والقاهرة

ولكن قبل أن يكتمل قرن من الزمان على بناء القاهرة ، ساءت جميع أحوال الدولة الفاطمية فى مصر ، وسقطت أسوار المدينة المبنية بالطوب اللبن تحت زحف حركة العمران التى بدأها أبناء الشعب المصرى الذين أقاموا مساكنهم حول كل جانب من جوانب المدينة ، واختطوا الشوارع والدروب والحوارى داخل المدينة وخارجها .

أما الخليفة الفاطمى المستنصر ، فقد أصبح يعيش حياة تعسة شقية ، وأصبح فقيراً لا يجد ما يقتات به سوى رغيفين من الخبز كانت تتبرع بهما كل يوم امرأة فاضلة هى ابنة أحد العلماء المصريين . وانتهى الأمر بهذا الخليفة إلى استدعاء الأرمنى «بدر الجمالى» الذى كان يحكم سورية ، ليتولى حكم مصر وتخليصها من الكروب والفاقة التى كانت تُعانيها .

أبواب جديدة

انصلحت أحوال القاهرة والقاهريين بتولى «بدر الجمالى» حكم البلاد ، فقد خفت حدة وباء الطاعون الذى كان يعصف بالأرواح ، وبدأت أسباب المجاعة التى شاعت فى البلاد تزول رويداً رويداً . كما ازدادت فى الوقت نفسه سبل المخاطر التى بدأت تُحيط بمصر وتُهددها .

ومن الإصلاحات التى أجراها بدر الجمالى سماحه لأهل مصر وأبناء شعبها بدخول القاهرة بلا إذن أو تصريح ! بل وسمح لهم أيضاً بأن يُقيموا بيوتهم ومساكنهم وحوانيتهم داخل حدود المدينة . كما قام بتعمير منطقة داخل القاهرة يُطلق عليها الآن «حى الجمالية» أقام فيها عدة بيوت وفنادق ووكالات تجارية ، كما وسّع حدود المدينة شمالاً وجنوباً .

وحتى يستكمل بدر الجمالى تحصينات المدينة لمواجهة الأخطار التى بدأت تُهددها ، أقام أسواراً حولها مبنية بالطوب اللبن ، كما استدعى ثلاثة من المهندسين الأرمن ، وطلب منهم أن يُصمموا للقاهرة أبواباً مبنية بالحجر تُؤدى دور الحصون الحربية .

وقام كل واحد من هؤلاء المهندسين الأرمن بتصميم باب ضخم يختلف - هندسياً - عن تصميم البابين الآخرين . وقد اختفى هذا السور الآن وزالت آثاره .

أما الأبواب الثلاثة فما زالت باقية حتى الآن ، وهى باب الفتوح وباب النصر فى شمال المدينة ، وباب زويلة فى جنوبها . وتُعتبر هذه الأبواب الثلاثة - من الناحية المعمارية - من أعظم التحصينات الحربية فى مصر الإسلامية ، كما تُعتبر فريدة فى نوعها ولا مثيل لها فى كل المدن والدول الإسلامية أو ذوات الطابع الإسلامى . وعلى الأرجح الغالب أن المهندسين الأرمن قد استلهموا فكرة الأبواب القاهرية من نموذج مدينة «آنى» الشهيرة .

أسوار صلاح الدين الأيوبى

فى سنة ٥٦٦ هـ - ١١٧٠ م كان صلاح الدين الأيوبى وزيراً للخليفة الفاطمى «العاضد» . وكانت الأخطار التى تُحيط بمصر والشام قد ازدادت بدرجة لا يُمكن الاستهانة بها أو إغفالها ، وذلك بسبب الحملات الصليبية التى كانت تشنها الدول الأوربية على المنطقة حملة وراء أخرى .

شعر صلاح الدين بحسه الحربى اللماح بضرورة تحصين القاهرة ضد أى خطر محتمل ، فأمر بترميم السور «اللبنى» الذى أقامه بدر الجمالى بعد أن أصبح هذا السور فى حالة سيئة . وفى سنة ١١٧٦ بعد أن أصبح صلاح الدين الأيوبى سلطاناً على مصر ، أدرك بخبرته التى اكتسبها من حملاته العسكرية الشهيرة فى الشام ، أن حماية القاهرة تستوجب إقامة المزيد من التحصينات المنيعة ، فأمر وزيره «بهاء الدين قراقوش» الأرمنى الأصل ، ببناء سور ضخم متين مبنى بالأحجار وليس من الطوب اللبن ، على أن يُحيط هذا السور بكل أرجاء مدينة القاهرة وما أُلحق بها من بقايا العواصم المصرية السابقة (الفسطاط والعسكر والقطائع) .

وكان هذا السور يُعد بحق واحداً من أضخم أعمال العمارة الحربية الإسلامية التى أقيمت فى مصر ، حيث كان يبدأ ببرج مقام على شاطئ النيل بمنطقة «المقس» وينتهى ببرج آخر أقيم أيضاً على شاطئ بمنطقة الكوم الأحمر بالفسطاط ثم يدور السور ليحتضن كل أرجاء القاهرة وملحقاتها .

تطلب البناء آنذاك أن تكون لدى البنائين مئات الآلاف من قطع الأحجار المستوية الجاهزة للبناء الفورى . ومن أجل توفير هذه الكميات الضخمة من الأحجار ، أمر الوزير «قراقوش» بفك أحجار مجموعة من المعابد الفرعونية والأهرام الصغيرة الواقعة بمنطقة الجيزة ، وكان يتم نقلها عبر النيل إلى الضفة الشرقية ، ثم تُنقل براً إلى مواقع البناء المطلوبة .

ومن الغريب أن طريقة الاعتماد على أحجار المنشاءات الفرعونية القديمة فى إقامة وبناء المنشاءات الإسلامية فى مصر ، قد أصبحت طريقة سهلة شائعة . فقد اعتمد عليها بدر الجمالى فى بناء أبواب القاهرة الثلاثة الشهيرة ، كما اعتمد عليها من قبل الخليفة الحاكم بأمر الله فى بناء جامعه الشهير . ويستطيع الزائر المدقق - الآن - أن يرى بوضوح على واجهة بعض أحجار هذه المنشاءات الإسلامية نقوشاً فرعونية مازالت محتفظة بألوانها التى قاومت عوادى الزمن عبر آلاف السنين .

ومازالت أجزاء كثيرة من هذا السور الحجرى الضخم باقية حتى الآن . كما زالت أجزاء كثيرة أخرى واندثرت بسبب قيام بعض أهالى القاهرة فى عصور تالية بفك الكثير من أحجار هذا السور لاستخدامها فى بناء بيوتهم فى الأحياء المتاخمة للسور والتى تُحيط بجوانبه .

قلعة صلاح الدين

وفكر صلاح الدين الأيوبى أيضاً فى بناء أول قلعة فى مصر الإسلامية لتحصين القاهرة باعتبارها قلب الدولة وحمايتها من كل خطر محتمل على أن تكون تلك القلعة محوراً يربط أسوار القاهرة وتحصيناتها .

وخرج صلاح الدين فى صحبة بعض من حرسه وجنده لاختيار مكان بناء القلعة ، حتى وصل إلى سطح جرف مرتفع ومتصل بجبل المقطم ، ويُشرف على مدينة القاهرة وملحقاتها كما يُشرف على النيل والجبل . وفى هذا المكان نفسه كانت تُوجد «قبة الهواء» وهى استراحة بناها «حاتم بن هرثمة» أحد ولاة مصر فى فجر إسلامها . وفى قبة الهواء هذه استراح الخليفة المأمون (العباسى) حين جاء إلى مصر عام ٢١٧ هـ - ٨٣٢ م .

وقرر صلاح الدين أن تُقام قلعته فى ذلك المكان الفريد لتكون مقراً للحكم ومركزاً للدفاع عن الدولة . وظلت القلعة تُؤدى هذا الدور فى كل العصور الإسلامية التالية على عصر صلاح الدين حتى عصر محمد على وعصر الخديو إسماعيل الذى نقل مقر الحكم من القلعة إلى قصر عابدين .

وبطبيعة الحال فقد تغيرت معالم ومنشاءات القلعة عبر تلك العصور . فقد اندثرت مبان قديمة وحلت محلها منشاءات أخرى ، كما تعددت الأبراج والأبواب فى أسوارها .

وذكر المؤرخون أسماء عدة أبواب اشتهرت بها القلعة كباب الدرفيل وباب القلة وباب النحاس وباب سارية وباب المدرج وباب القرافة وباب السلسلة وباب الجبل وباب العرب . وقد زالت بعض تلك الأبواب ولم يعد لها أثر ، كما بقيت أبواب أخرى مازالت شاهدة على مدى قوة تحصينات القلعة طبقاً للمفاهيم الحربية خلال تلك العصور الإسلامية .

وحتى يتم تزويد القلعة بماء النيل ، أقيمت أسوار عالية تمتد إلى مسافة طويلة تصل بين مجرى نهر النيل وبين القلعة ومنشاءتها . وقد سُمى هذا السور بـ«مجرى العيون» . ويبدأ من شاطئ النيل حيث أقيمت الروافع والقواديس لترفع الماء إلى أعلى السور ، فيجرى خلال قناة علوية حتى يصل إلى أسوار القلعة فيجتازها إلى داخلها .

ذات المائة باب

أما السبب الذى دعا بعض المؤرخين إلى تسمية القاهرة بالمدينة ذات المائة باب ، فيرجع أساساً إلى كثرة عدد الأبواب التى تميزت بها القاهرة كمدينة ذات طابع خاص مميز . وعلى أية حال فالقول بأن القاهرة ذات المائة باب هو وصف إنشائى مثله فى ذلك مثل القول بأن القاهرة ذات الألف مئذنة . فلم يكن عدد الأبواب مائة بل أقل ، ولم يكن عدد المآذن ألفاً بل يزيد .

وفى هذا الاستطلاع سنزور أهم أبواب القاهرة القديمة وأشهرها ، وهى الأبواب التى بناها بدر الجمالى ، ومازالت باقية حتى يومنا هذا كجزء من الآثار الإسلامية التى تزخر بها مدينة القاهرة .

باب الفتوح

يقع هذا الباب فى الجانب الشمالى من أسوار القاهرة القديمة ، وهو مبنى ضخم من الحجر يتكون من برجين شبه مستديرين تعلوهما حجرات أُعدت لتحصين وحماية الجنود المدافعين ، بها فتحات أو «مزاغل» لرمى السهام ضد الأعداء .

وفى سقف الباب ومدخله بين هذين البرجين ، تُوجد مجموعة من الفتحات كانت تُصب منها الزيوت المغلية أو السوائل الكاوية على جنود العدو لمنعهم من دخول المدينة .

وإذا صعد الزائر إلى سطح هذين البرجين لاستطاع أن يُشاهد منظراً واسعاً (بانوراما) لمعالم القاهرة القديمة والقاهرة الحديثة أيضاً ، حيث يرى مئات من القباب والمنائر ومآذن الجوامع والمساجد . كما يظهر جامع الحاكم بأمر الله ملاصقاً للسور الحجرى المرتفع الذى يربط المسافة بين باب الفتوح وباب النصر .

وبين البرجين من الداخل ، نرى الباب الخشبى الضخم الذى كان يُفتح ويُغلق عند اللزوم . ويتكون هذا الباب من ضلفتين مصنوعتين من الخشب السميك المقوى بشنابر أو (أشرطة) حديدية ذات مسامير كبيرة مرصوصة فى صفوف متوازية .

ومن الطريف أنه كانت هناك عادة شعبية منتشرة بين بسطاء الناس وانقرضت الآن تماماً ، وهى أن يقوم من له طلب أو أمنية بلف فتلة من الخيط أو شريط صغير من القماش حول رأس أحد المسامير الكبيرة التى تبرز رؤوسها من إحدى ضلفتىّ الباب وهو يدعو الله أن يستجيب لدعائه ويُحقق له ما يطلبه أو يتمناه .

باب النصر

أما باب النصر فطرازه المعمارى مختلف تماماً عن طراز باب الفتوح ، فبرجاه مربعان وليست لهما استدارة برجىّ باب الفتوح . كما تتحلى الجدران الخارجية لكل برج منهما بأشكال فنية منحوتة بالحجر البارز تُمثل بعض الأسلحة والأدوات الحربية التى كانت معروفة فى الزمن القديم .

وباب النصر مجهز أيضاً بالحجرات العلوية ذوات الفتحات والمزاغل التى تُستخدم فى رمى السهام ، وفتحات السقف التى كانت تُصب منها السوائل المهلكة على المغيرين .

وخلف الضلفة اليمنى لباب النصر ، نرى ضريحاً متواضعاً دُفن فيه أحد الأولياء الطيبين الذين كانوا يعيشون فى القاهرة القديمة . ولهذا الضريح حكاية طريفة لا بأس من الإشارة إليها . فصاحب الضريح اسمه «حسن الذوق» (لاحظ تركيبة الاسم) وكان رجلاً طيباً فى غاية لطف المعشر والذوق الرفيع فى معاملة الناس .

وتقول الحكاية إن الرجل كان يبذل جهوداً مضنية فى محاولة منع المشاجرات والمنازعات التى كانت تنشب بين الناس لأسباب مختلفة ، ومحاولة تهدئة خواطر الثائرين الذين كانوا يفقدون أعصابهم فيسبون ويلعنون . وكان الرجل يبذل قصارى جهده فى تعليم الناس قواعد الذوق السليم وأساليب التعامل بالحسنى والمعروف . ولكن يبدو أن الناس لم يستجيبوا بسهولة إلى تعاليمه الرفيعة ، فزهق الرجل وشعر باليأس وقرر الرحيل عن القاهرة وأهلها .

وحمل الرجل متاعه على ظهره وسار مودِّعاً شوارع القاهرة ودروبها وحواريها إلى أن وصل إلى باب النصر ليخرج من المدينة . ولكن تشاء الأقدار أن يحل أجله عندما أوشك على الخروج من الباب . وقام أهالى القاهرة الطيبون بدفن الرجل حيث سقط بجوار الضلفة اليمنى للباب ، وأقاموا له الضريح الصغير المتواضع ، واطلقوا عليه اسم «سيدى حسن الذوق» . ولعل هذا هو السند المباشر للمثل الشعبى الذى يقوله أهل القاهرة بلغتهم العامية حين يُطيِّبون الخواطر ويدعون إلى التعامل بالحسنى : «الذوق ماخرجش من مصر !» .

باب زويلة

وفى الناحية الجنوبية من سور القاهرة الذى بناه بدر الجمالى ، نرى الباب الثالث من أبواب القاهرة المشهور بإسم «باب زويلة» حيث كانت قبيلة زويلة المغربية تسكن وراءه . كما اشتهر أيضاً باسم «بوابة المتولِّى» حيث كان يجلس بجواره المتولِّى الذى كان يقوم بتحصيل الرسوم من الداخلين إلى القاهرة من أهل مصر .

ويُعتبر باب زويلة أجمل أبواب القاهرة الثلاثة من الناحية المعمارية . وربما كان السبب فى إبراز جماله المعمارى يرجع إلى قيام «السلطان مؤيد شيخ» - وهو أحد سلاطين المماليك الجراكسة المعروفين تاريخياً بإسم المماليك البرجية - فى سنة ١٤١٢ م ببناء مئذنتىّ جامعه

الفخم الملاصق لباب زويلة من ناحية الغرب وهو الجامع المعروف بإسم «جامع المؤيد» .

وتعتلى كل واحدة من هاتين المئذنتين أحد البرجين شبه المستديرين اللذين يتكون منهما الباب . وتعتبر هاتان المئذنتان من أجمل المآذن المملوكية التى تعلو جوامع القاهرة ومساجدها ، وأعطتا للبرجين جمالاً معمارياً لا تُخطئه العين .

ولباب زويلة شهرة بغيضة فى تاريخ القاهرة القديمة ، حيث كانت تُجرى عنده عمليات الإعدام سواء بالشنق أو بقطع الرؤوس أو بتشطير جسم المحكوم عليه إلى نصفين . وكانت الرؤوس المقطوعة أو الجثث المشنوقة تُعلق على باب زويلة لمدة كافية حتى تُؤدى دورها كعبرة للآخرين .

ومن أشهر عمليات الإعدام التى أُجريت عند باب زويلة ، عملية شنق السلطان طومانباى آخر من تولى حكم مصر فى دولة المماليك الجراكسة ، والذى أعدمه السطان العثمانى سليم الأول عندما استولى على مصر ودخل القاهرة فى سنة ١٥١٧ .

ويُحكى أن أهالى مصر الذين تجمعوا ليُشاهدوا شنق سلطانهم الشجاع الذى استمات فى الدفاع عن بلادهم قد أخذوا يبكون ، وارتفعت أصوات النساء بالولولة والصراخ ، إلا أن طومانباى تقدم إلى حبل المشنقة وهو يصيح فى أهل مصر : لا تبكوا ، واقرأوا لى الفاتحة ، بارك اللّه فيكم !

أبواب السور الشرقى

والجانب الشرقى لسور القاهرة القديمة كان سيئ الحظ فهو مجاور لتلال الدراسة حيث كانت تُلقى أكوام القمامة خارج أسوار المدينة لمدة قاربت الألف عام . وتراكمت تلك الأكوام فوق الأبواب التى كانت قائمة فى هذا الجانب من السور حتى أهلكتها ودمرتها ، ولم يعد باقياً منها سوى آثار لا تُذكر .

ومع ذلك فإننا نعرف الكثير عن أوصاف تلك الأبواب وحكاياتها من واقع كتابات المؤرخين الذين أرّخوا للقاهرة ووصفوا منشاءاتها ومبانيها الكبرى . واكُتشفت حديثاً بقايا باب كان اسمه «باب التوفيق» ، كما يصف المؤرخون باباً شهيراً كان يُسمى «باب القراطين» . وقد سُمى بهذا الاسم لأنه كان قائماً بجوار سوق للمواشى حيث يُوجد «القرّاطون» الذين يبيعون «القرط» وهو البرسيم .

ويقول المؤرخون أيضاً إن باب القرّاطين قد سُمى فى عصر لاحق بـ «الباب المحروق» وذلك لأن إحدى فرق المماليك البحرية التابعة لأمير مملوكى اسمه «إقطاى» كانت تُريد الفرار ليلاً من القاهرة بعد أن علمت الفرقة بمقتل أميرها . وعندما وصل هؤلاء المماليك إلى هذا الباب وجدوه مغلقاً لأن أبواب القاهرة كانت تُغلق كلها بعد غروب الشمس ، فقاموا بإحراق الباب وتدميره ليتمكنوا من الهرب والفرار من المماليك الآخرين الذين كانوا يتعقبونهم .

ونعرف من كتابات المؤرخين أيضاً أن هناك باباً كان يُسمى «باب البرقية» نسبة إلى طائفة من الجنود القادمين من مدينة «برقة» وقد سُمى هذا الباب فى عصور لاحقة بإسم «باب الغريب» .

أبواب السور الغربى

أما أبواب القاهرة التى كانت تقع فى الجانب الغربى من أسوارها التى تُطل على مجرى «الخليج المصرى» فقد زالت جميعها ، ولم يعد باقياً منها سوى ذكرياتها متمثلة فى أسمائها التى أُطلقت على الأحياء السكنية أو المواقع التى كانت قائمة فيها وذلك مثل «باب سعادة» الذى كان منسوباً إلى «سعادة بن حيان» غلام المعز لدين الله الفاطمى و«باب القنطرة» الذى سُمى بهذا الاسم بسبب القنطرة التى بناها جوهر الصقلى فوق مجرى

الخليج المصرى لتصل بين الأحياء الشرقية للقاهرة وأحيائها الغربية فى منطقة «المقس» فى موضع حى الأزبكية الآن .

وفى مواجهة باب القنطرة وعلى الضفة الغربية للخليج ، كان يقع «باب الشعرية» الذى سُمى كذلك بسبب وجود طائفة من البربر كانوا يُسمون «بنى الشعرية» قائماً إلى أن أزيل سنة ١٨٨٤ بسبب تصدع مبانيه وبسبب افتتاح وإنشاء شوارع وطرقات جديدة ، ومع ذلك فقد ظل اسم «باب الشعرية» باقياً حتى الآن ، حيث يُطلق على الحى الشعبى الكبير الذى يقع بين أحياء الجمالية والفجالة والأزبكية .

وبحس واع بتاريخ القاهرة والقاهريين ، حرص الأهالى على إطلاق أسماء الأبواب العديدة التى كانت قائمة بأسوار المدينة ، وأسماء أبواب الحارات الكبرى ، على الأماكن والمواقع نفسها التى كانت قائمة فيها قبل أن تزول وتندثر .

وأشهر أسماء الأبواب فى مختلف مناطق القاهرة وأحيائها : باب القدس ، باب الخوخة ، باب الشعرانى البرانى ، باب الفرج ، باب الخلق (حيث يُوجد الآن مبنى المتحف الإسلامى ودار الكتب المصرية القديمة) ، باب اللوق ، باب الزهومة ، باب الذهب ، باب الزمرد، باب الديلم ، باب تربة الزعفران ، باب البحر، باب الحديد (حيث تُوجد المحطة الرئيسية للسكك الحديدية ـ رمسيس الآن) ، باب الوزير ، باب الصفاء ، إلخ .

ولولا ذكاء القاهريين فى تخليد أسماء هذه الأبواب بعد زوالها واندثارها ، لما علمنا بأن القاهرة كانت لها كل هذه الأبواب ، ولما علمنا بحكايات تلك الأبواب وتاريخها .

الكويـــــــت

فى ٢٢ سبتمبر ٢٠١٣ ، أُقيمت فى قاعة «سلوى صباح» بفندق مارينا بالكويت الحفل الذى نظّمته سفارة جمهورية أرمينية بالكويت بمناسبة العيد الثانى والعشرين لاستقلال أرمينية . وكان من بين المدعوين ممثلون لوزارة الخارجية الكويتية والحكم المحلى وأوساط رجال الأعمال وممثلون لعائلة الصباح الحاكمة . وكذلك قيادات السلك الدبلوماسى المعتمدون فى البلاد ونواب البرلمان وسياسيون ومفكرون وممثلون عن وسائل الإعلام المحلية وقنوات التليفزيون ، وكذا ممثلون عن الطائفة الأرمنية بالكويت . وكان الضيف الرئيسى للاستقبال السيد / أنس خالد الصالح وزير التجارة والصناعة لدولة الكويت . وقد شرّف حفل الاستقبال محافظ عاصمة دولة الكويت ، ومحافظ محافظة الكويت الشيخ على جابر الصباح ، ومحافظ محافظة الأحمدية .

وبعد عزف السلام الوطنى للدولتين ، تحدث سفير جمهورية أرمينية بالكويت عن مسار العلاقات الثنائية الحالية بين أرمينية والكويت والمشروعات المتوقعة . كما أشار إلى العمل والتعاون المتبادل فى مجالات مختلفة مع دولة الكويت وإمكانيات تعميقها فى المستقبل . كما قدّم أولويات السياسة الخارجية بجمهورية أرمينية ، وأشاد بالدور المهم للطائفة الأرمنية الكويتية فى عملية تعزيز العلاقات بين البلدين . وخلال الاستقبال ، عرض أعمال فنية معاصرة للفنانين الأرمن . كما تم عرض فيلم تسجيلى عن أرمينية . هذا ، وقد تناولت وسائل الإعلام المحلية والتليفزيون الحكومى للكويت أخبار الحفل ، وركزت بعضها على حضور وزير التجارة والصناعة الكويتى ومحافظىّ الكويت والأحمدية .

احتفالات استقلال أرمينية

مصـــــــــر

فى ٢١ سبتمبر ٢٠١٣ ، قام السيد أحمد منيسى الممثل الشخصى لرئيس جمهورية مصر العربية المؤقت عدلى منصور بزيارة سفارة جمهورية أرمينية بالقاهرة حيث أبلغ د . أرمين ميلكونيان سفير جمهورية أرمينية بالقاهرة التهانى والتمنيات الحارة لرئيس الدولة الموجهة إلى الرئيس سيرج سركيسيان رئيس جمهورية أرمينية وكذلك إلى الشعب الأرمنى الصديق . وأبدى الجانبان خلال المقابلة رضاءهما عن المستوى الحالى للعلاقات الأرمنية المصرية الحميمة المبنية على أسس الصداقة التقليدية والاحترام المتبادل بين الشعبين .

وفى ٢٩ سبتمبر ٢٠١٣ ، أُقيم حفل استقبال رسمى فى سفارة جمهورية أرمينية بالقاهرة بمناسبة مرور «٢٢» سنة على استقلال أرمينية . وقد حضر الاستقبال حوالى «٥٠٠» ضيف بينهم رئيس الرقابة الإدارية اللواء عمر وهبى ، وكبار المسئولين فى وزارات وإدارات : الخارجية والدفاع والثقافة والتعاون الدولى علاوة على عشرات من السفراء المعتمدين بالقاهرة وعدد من مشاهير السياسة ورجال أعمال وفنانين وصحفيين ، وكذا ، عدد كبير من أعضاء الطائفة الأرمنية المصرية ، ومواطنى أرمينية المقيمين فى مصر .

وخلال الحفل ، ألقى سفير جمهورية أرمينية بالقاهرة د . أرمين ميلكونيان كلمة تحدث فيها عن إنجازات أرمينية على مدار سنوات الاستقلال ، وكذلك التحديات التى تُواجهها . علاوة على هذا ، رصد تطور العلاقات المصرية الأرمنية . وتجدر الإشارة إلى أن وسائل الإعلام المصرية قد تناولت احتفالات العيد الثانى والعشرين لاستقلال أرمينية حيث قامت جريدة «اليوم السابع» ووكالة أنباء الشرق الأوسط بنشر أحاديث مع سفير أرمينية بالقاهرة .

لبـــــــنان

قامت سفارة جمهورية أرمينية بلبنان بتنظيم حفل استقبال فى ٢٠ سبتمبر ٢٠١٣ بمناسبة العيد الثانى والعشرين لاستقبال أرمينية . وبعد عزف السلامين الوطنيين للبنان وأرمينية ، قام سفير جمهورية أرمينية بلبنان أشود كوتشاريان بإلقاء كلمة عن مسيرة جمهورية أرمينية خلال الاثنين والعشرين عاماً الماضية . وعند الحديث عن علاقات الصداقة الأرمنية اللبنانية ، أشار السفير إلى الزيارات المتبادلة على مستوى رفيع . ونوهّ بالأهمية السياسية إلى الزيارة الرسمية التى قام بها رئيس جمهورية أرمينية سيرج سركيسيان خلال نوفمبر ٢٠١٢ . كما أبدى يقينه بأن الطريق الجوى المباشر الذى افتُتح من قبل طيران شركة «الشرق الأوسط» بين بيروت ويريڤان سيُساهم بدرجة كبيرة فى تنمية وتوسيع العلاقات التجارية والاقتصادية والسياحة وعلاقات الأعمال .

وأنهى السفير كلمة الترحيب التى ألقاها بإبداء الشكر لكل المؤسسات والأفراد لتعاونهم الوثيق . كما تمنى السلام والتنمية للشعب اللبنانى الصديق . هذا ، وقد حضر حفل الاستقبال وزراء ونواب وسفراء وقيادات الطوائف والمؤسسات الحكومية وممثلى وقياديى الطائفة الأرمنية . وتجدر الإشارة إلى أن النائب هاجوب بقرادونى كان الضيف الرئيسى للاحتفال يُمثل رئيس جمهورية لبنان ورئيس مجلس النواب والقائم بأعمال رئيس مجلس الوزراء .